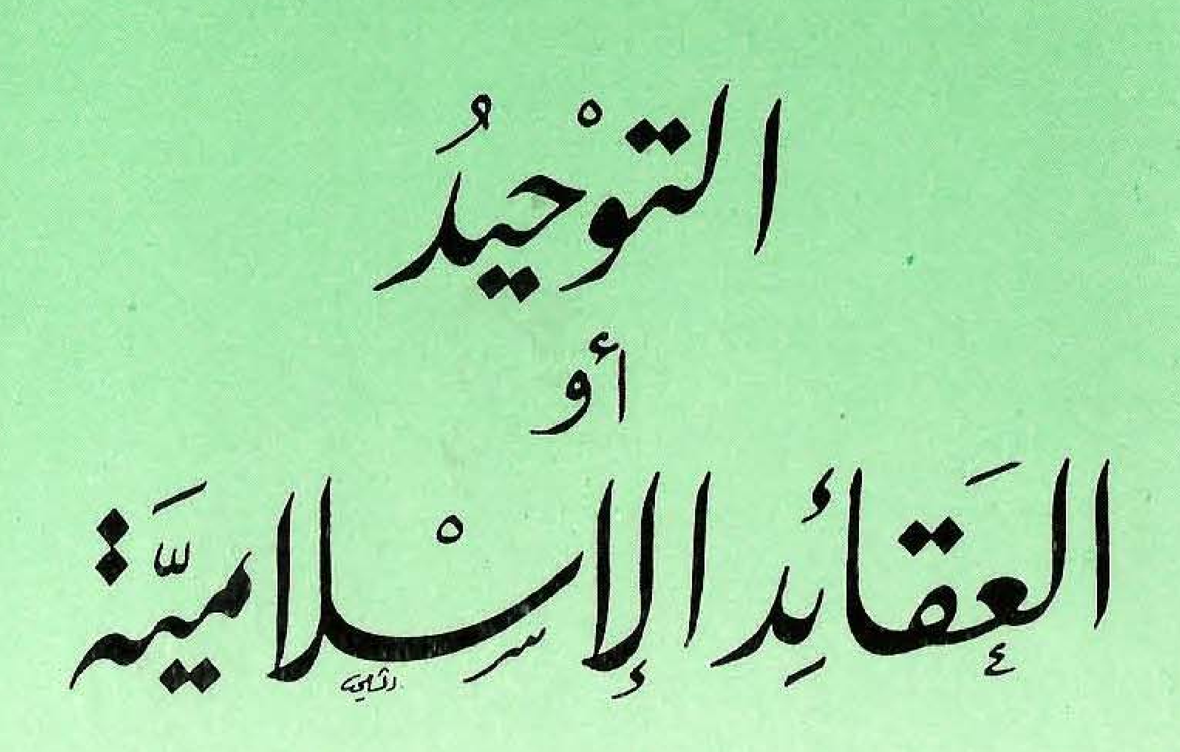




التوحيد
أو
العقائد الإسلامية

تأليف

محمد أحمد العدوي

تحقيق وتعليق
زهير الشاويش

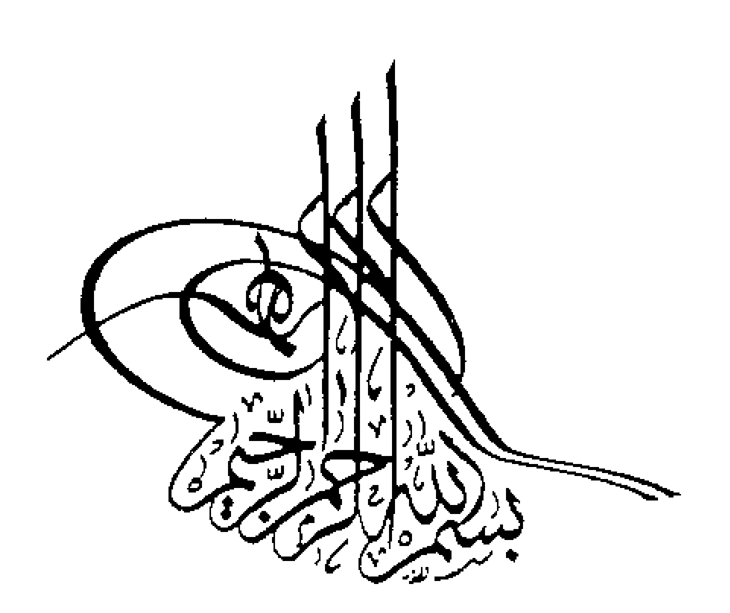
تخريج وتعليق
محمد ناصر الدين الألباني

المكتب الإسلامي

التوحيد

أو

العقائد الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

أو

العقائد الإسلامية

تأليف

محمد أحمد العدوي

تحقيق وتعليق

زهير الشاويش

تخريج وتعليق

محمد ناصر الدين الألباني

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ ـ هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ ـ هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ ـ هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن التوحيد والعقائد الإسلامية من أولى واجبات المسلم، وعليه أن يعرف ويتقن هذا الجانب الأعلى من حياته، لأنه كل ما يطمح المسلم في الوصول إليه، ليكون متمثلاً بما أمَرَه الله به، وحمله إليه رسوله الكريم محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وعلى أصحابه وسلم.

وقد بيّن الله في كتابه الكريم، والرسول في أحاديثه كل ما يوصل إلى «التوحيد» وإلى معرفة «العقيدة»، فلو

التزم المسلم الوقوف عند هذه النصوص وتطبيقها، لما احتاج معها إلى شيء غيرها.

ولكن الواقع أن آيات الله وأحاديث رسول الله، لم تُترك على ما كانت عليه من صفاء العرض وصدق الغرض، بل داخلتها الآراء والأفكار والتفصيلات، وتبع ذلك التأويل، لكل نص تقريباً، حتى كاد الحق أن يضيع.

وقد أضيف إلى كل ذلك مصطلحات علم الكلام، وهو علم أغلب تفاصيله لا تؤدي إلى معرفة دين الله، فتوزعت الفهوم، وتنازعت الآراء. وأكاد أقول:

إنها أبعدت المؤمن عن دين ربه.

وانظر إلى ما يقوله بعضهم: «الله موجود في كل مكان» من غير أن يعرف أنه بذلك يضاهي الله بل يخالفه جل شأنه في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[2].

والنصوص الكثيرة الدّالة على ذلك.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٥.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

مثل ذلك قول رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيبَ له، من يسألني فأُعطيه، من يستغفرني فأغفرَ له»[1].

وهذا كله العلو المطلق الذي يليق بجلال الله سبحانه وبعظمته.

ويغفل هذا البعض القائل عمّا في قولهم من مخالفة للنقل والعقل، بل وتعكير لصفاء العقيدة التي جعلها الله سهلة مبسطة.

وهكذا أقوال أهل علم الكلام، وما أدخل فيه من تفصيلات غامضة، تصعب على فهم أهل الاختصاص من كبار أهل العلم، فضلاً عن صاحب الثقافة البسيطة.

وقد تنبه العلماء إلى هذا الضلال المتفشي بين بعض الذين ضل سعيهم من الناس.

فأُلفَتْ الرسائل والكتب المبينة، وهي أكثر من أن تعد أو تحصى.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

وكتابنا هذا على صغر حجمه، قد جمع أمهات المسائل معتمداً على الآيات القرآنية فقط، وكل كلام المؤلف ـ رحمه الله ـ إنما هو للربط بينهما، مما يجعله فريداً في بابه، وكأنه تفسير لبعض آيات القرآن الكريم المتعلقة بالمعتقد.

وقد حمل إلينا النسخة الأولى منه الأخ الفاضل الأستاذ عبد الرحمن الباني، من مصر حيث كان يدرس في أيامنا الأولى، وقمنا بتدريسها على مجموعات من الشباب والطلاب، حيث كنت أحد المسؤولين عن اختيار المواد للجماعة في سورية، مقرونة بكتاب «التوحيد» لشيخ الدعوة الإسلامية الإمام محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ، وكتب شيخ الإسلام الإمام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «العبودية»؛ وقد طبعته بعد ذلك مع مقدمة نافعة بينت ما فيه من المعاني بقلم الأستاذ عبد الرحمن الباني، وكتاب «التوسل والوسيلة» و«الفرقان» وغيرها.

ونفع الله بهذه الكتب، وقمت بطبعها كلها منذ زمن طويل.. سوى هذا الكتاب فقد سلمته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني أيام عمله في المكتب الإسلامي والتي دامت قريباً من أربعين سنة، لينظر فيه وبما فيه مما قمت به من تعليق عليه، ومنذ سنوات

تـجـاوزت الـعـشـريـن، وفـعـلاً قـدم لـي عـدداً مـن التعليقات.

والآن وبعد أن عمّ البلاء، وشاع الضلال، وكثرت الفتن، وجدت أن الوقت قد حان لطبعه، بتعليقات الشيخ الألباني رحمه الله وختمتها بـ (ن)، تمييزاً لها عن تعليقاتي السابقة واللاحقة التي أضفتها إليه تحقيقاً، تسهل على القارئ الوصول إلى المقصود. والله أسأل أن ينفع بطبعتنا هذه، كما نفع بباقي مؤلفات الشيخ العدوي، وبالذين سبقوه من أهل الدعوة الحقة، إنه جلّ شأنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

زهير الشاويش

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾[1].

وبعد: فقد مضى على المسلمين زمن غير قليل، ومرجعهم في عقائدهم كتاب ربهم[2]، ثم جاء دور التدوين والتأليف فأضافوا إلى آيات العقائد شيئاً من الآثار، إلى أن اختلطت الفلسفة بالعقائد فأكثر المتكلمون من كتب الجدل ليطهروا العقائد مما لوّثها: فمنهم من وُفِّق، ومنهم من قارب.

---

(١) سورة التغابن: الآيات ١ ـ ٤.

(٢) وما صح لهم من حديث نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

وكتاب الله تعالى الذي هو عصمة للعقول لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يزال قائماً.

فوجب أن نأخذ منه العقائد، ونعوّل عليه في أصول الدين[1] ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

---

(١) هذا يوهم حصر أخذ العقائد من القرآن الكريم، وليس ذلك بصواب لأنه مخالف لسبيل المؤمنين، فإننا نعلم بالضرورة أن الصحابة رضي الله عنهم، كانوا لا يفرقون في العقيدة ـ شأنهم في الأحكام والمعاملات ـ بين القرآن والحديث. وجرى على ذلك التابعون فمن بعدهم، واتبعوا سبيلهم، لا يفرقون في ذلك بين أصول الدين وفروعه، بل إن التفريق بينهما تفريق مبتدع لا أصل له في الشرع، بل هو مخالف لنصوص كثيرة منه في القرآن والسنة. ولقد كان من الآثار السيئة لهذا التفريق أن استحل كثير من المتأخرين إنكار كثير من الأحاديث الصحيحة بدعوى أنها آحاد وبمثلها لا تثبت العقيدة زعموا، ورتبوا على ذلك أن المسلم مهما أنكر ما هو ثابت في الشرع، فإنه لا يكفر إلا إذا كان الذي أنكره أصلاً من أصول الدين، ولم يقيدوا ذلك بما إذا علم ثبوت ذلك عنده. والحق الذي لا ريب فيه أن من أنكر شيئاً ثابتاً في الدين سواء كان في الأصول أو الفروع فهو كافر إذا علم كونه من الدين، ومع ذلك أنكره. فبهذا الشرط يكفر، لأن معنى ذلك أنه لا يصدق الرسول ﷺ في كل ما جاء به، وما جاء به كله صواب، فجحد أي شيء منه يعتبر طعناً فيه ﷺ. وذلك كفر بين. وعلى ذلك إذا أنكر شيئاً وهو لا يعلم أن النبي ﷺ جاء به، فلا سبيل إلى تكفيره إلا بعد تبليغه وإقامة الحجة عليه لقوله =

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[١].

وقد رأيت أن أتكلم على أمهات العقائد، وأصول الدين، بأسلوب سهل لا يكلف الناظر نظم دليل على أسلوب المناطقة، ولا بحث مقدمات على نمط علماء الكلام[٢].

بل ألْفِتُه إلى النظر فيما حوله من الآيات، وما يقع بصره عليه من عبر، ألفته إلى نفسه وما حوت من دقائق؛

= تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾، ولا مجال بعد ذلك للتردد في تكفيره، ولو زعم أنه لم يقتنع بذلك أو لم تطمئن نفسه به فإنه ينافي الإيمان به ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾.(ن).

لقد أوردنا نص كلام الشيخ الألباني كما هو، مع أن المؤلف رحمه الله لم يقصد عدم الأخذ بالسنة!!

(١) سورة طه: الآيات ١٢٣ ـ ١٢٦.

(٢) يشير المؤلف ـ رحمه الله ـ إلى قواعد كتب علم الكلام ومصطلحات أهلها، وإنها لا يمكن أن تؤدي بهم إلى الإيمان بالله ورسله، بل هي سبيل الضلال كما هو معروف ومشاهد في أكثر مَن نظر فيها.

اللّهم إلا من خرج منها بعد الابتلاء ـ بالجملة ـ مثل الأئمة أبي الحسن علي الأشعري، والغزالي ومن تبعهم سابقاً.

وإلى الأرض وما اشتملت عليه من عجائب النبات والأشجار، والأنهار والبحار[1].

إلى غير ذلك من العبر كآيات الليل والنهار، والشمس والقمر[2]، فإن في ذلك وأمثاله ما يكفي لتثبيت يقينه، وتقوية إيمانه، أسلوب يسهل على العامة فهم دينهم، ويُنقذ الخاصة من تكلفهم في استدلالهم وتشددهم في طريق الوصول إلى عقائدهم، وأرجو أن يقع من الأمة موقع القبول، وأن يكون سبيلاً لاتّصال صاحبه بالرسول، صلوات الله وسلامه عليه وعلى أصحابه وتابعيه ومن سار بسيرهم واهتدى بهديهم.

---

(1) في مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

(2) بمثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [لقمان: ٢٩].

وجود الإله

مما أُودع في الفطَر، وارتكز في الطباع، معرفة العاملين بآثارهم، والصنَّاع بصنعتهم، ولذلك ترى نفسك وقد وقع بصرُك على قصرٍ حسن المنظر محكم البناء، قد استولت عليك الدهشة من مهارة بانيه، ونبوغ صانعه، وترى لسانك يسابق نفسك إلى امتداح واضعه والثناء عليه.

وإذا مررت ببستان قد أُحكمت تقاسيمه، ونُسقت أشجاره، ونظِّمت أزهاره، لفتك ذلك الشكل البديع إلى حسن ذوق راسمه، وسلامة فطرته.

وإذا مررت بأثر من الآثار العظيمة كبناء الإهرام(١) علمت أن البانين له من قدماء المصريين، كَان عندهم من آلات رفع الأثقال ما تمكنوا به من بنائه.

وإذا دخلت دارَ الآثار، ورأيت من جثث الأقدمين ما مضى عليه عشرات القرون وآلاف السنين، عرفت أن

(١) ومثلها ما نشاهده في قلعة بعلبك، وأبنية مدن تدمر، وجرش، وصور، وبابل، وإهرامات مصر وما ماثلها وشابهها عند سكان لبنان وسورية والعراق ومصر.

المصريين كانوا يعلمون من فن التحنيط ما لا نهتدي إليه حتى الآن.

إذا كان ذلك هو الذي تقتضيه الفطرة، وتستلزمه طبيعة الإنسان، وهو أن تنتقل النفس من الأثر إلى المؤثر فيه، ومن عظم البناء إلى عظم بانيه، فمن الطبَعيّ أن تعرف من ذلك الكون أن له ربّاً دبَّره وخالقاً برأه، من البدهيّ أن تعرف أن لذلك العالم إلهاً رفع سماءه، وبسط أرضه، وأرسى جباله، وأجرى بحاره. ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[1].

من المعقول أن نعرف الإلٰه بآثاره، ونصل إليه بدلائل قدرته، وما أحسن قول الأعرابي وقد سأله الأصمَعي[2]: بم عرفت ربك؟ فقال:

---

(١) سورة قَ: الآيات ٦ ـ ٨.

(٢) الأصمعي: هو عبد الملك بن قُريب بن أصمع الباهلي منسوب إلى جده ـ أبو سعيد، راوية العرب، وأحد أئمة العلم واللغة والشعر. وكان كثير التطواف بالبوادي، ويتلقى الأخبار، ويتحف بها الخلفاء. ومع علمه الغزير لم يكن من أهل الثقة فيما ينقل، ولكن لا يستغني عنه طالب العلم. وله العديد من المؤلفات في الأدب والشعر. ولد سنة ١٢٢هـ، وتوفي سنة ٢١٦ هجرية. ولا يكاد يخلو كتاب في العلم من أخباره.

«البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فِجاج، ألا تدل على اللطيف الخبير».

قالهُ ذلك الأعرابي بسلامة فطرته، وطهارة نفسه، لأنه نظر في الكون نظر عظة واعتبار، وفكرٍ وادِّكَار.

ولو نظرنا كما نظر الأعرابي لرأينا من آيات الله ما لا يقف عند حدّ، ولا ينتهي عند غاية، لو تأملنا قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[1].

لعرفنا أن من يستطيع أن يحوّل الطين اللازب إلى ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، ثم يحوّل النطفة إلى علقة، والعلقة إلى مضغة، ثم يحوّل المضغة إلى عظام، فيكسوها لحماً، ثم ينشئها خلقاً آخر فيشق لها عيناً تُبصر، وأذناً تسمع..

جدير بأن تخضع لهُ الرقاب، وتذل لهُ النفوس، لو نظر الإنسان إلى طعامه كيف صب الله الماء صبًّا، ثم شق لهُ الأرض شقًّا، فأنبت لهُ ما يحتاجهُ في حياته، ويتطلبهُ في

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١٢ ـ ١٤.

معيشته، أو نظر كيف يتعاقب الليل والنهار، وكيف تُسَيَّر السفن بواسطة الهواء في البحار[1]، وكيف سُخِّر لهُ الشمس والقمر، وكيف اختلفت الألسن، وافترقت الألوان؟

على أن الكلّ لآدم وآدم من تراب، لرأى من ذلك كله العجب العجاب، وعرف أن في كلّ شيء آية ناطقة، وبرهاناً ينادي بأن لذلك العالم ربّاً مهيمناً عليه، وإلٰهاً متصرّفاً فيه، على وفق الحكمة، ومنتهى الإتقان.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[2].

وأعجب من هذا وأغرب: قول الله تعالى:

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ

---

(١) وقد مضى على تأليف هذا الكتاب ما يقارب السبعين سنة، وفيها تطورت وسائل النقل كثيراً بما هو مشاهد.
وقد عرف الناس ـ الآن ـ من أصول الزراعة أنواعاً كثيرة، غير ما كانت تعرف عند السابقين.
وهي في حقيقتها تدل على قدرة الله جلّ شأنه.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦٤.

صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[١].

فانظر كيف فَضَّل الله بعض الثمار على بعض، فجعل فيها الحلو والحامض، والحارّ والبارد، على اتحاد مائها الذي يغذيها، والشجرة التي تحملها، بل قد يتحد الغصن وتتفاوت الثمرة، وقد تختلف الثمرة الواحدة فيكون لكل جانب منها طعم خاصّ.

أليس ذلك من أكبر الأدلة على أن لها ربّاً حكيماً أعطى كلّ شيء خلقه، ووهبه من الخصائص ما يتناسب مع استعداده، ويتمشى مع سننه.

(١) سورة الرعد: الآية ٤.

تنزهه تعالى عن مشابهة غيره

إذا كان ذلك العالم البديع الصنع لا بدّ له من إلٰه يدبره، وخالق يهيمن عليه، فليس من المعقول أن يشبه ذلك الإلٰه شيئاً من خلقه، لا يشبهه في ذاته، ولا يماثله في صفته، ضرورة أن الله تعالى خالق، والعالم مخلوق والله غني عن خلقه، والعالم فقير إليه، وكيف يماثل مخلوق خالقه، أم كيف يشبه عبد ربه، وكيف يداني فقير من جميع جهاته غنيًّا مطلقاً، يمنح غيره الوجود، ويهبه الحياة.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[1] وَإذا كانَ العبد والرب لا يتماثلان، والمخلوق والخالق لا يتشابهان، وكان للمخلوق مبدأ ونهاية، وجب أن يكون الإلٰه هو: (الأوّل والآخر) الأول: بلا ابتداء، والآخر: بلا غاية.

وإذا كان للمخلوق أن يؤتى القليل من العلم ـ فإن لله الاطلاع الكامل، والعلم المحيط.

---

(١) سورة النحل: الآية ١٧.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾[1].

وإذا كان للمخلوق استطاعة محدودة، ومشيئة لا تعدو مشيئة الرب، فإن لله القدرة التامة، والمشيئة النافذة:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾[2].

وإذا كان من شأن العبد أن يُسألَ عما يفعل، لأنه يخطئ ويصيب، فليس ذلك من شأن الخالق، لأنه الحكيم الذي لا يعبث، والعدل الذي لا يجور:

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[3].

وإذا كان من شأن العبد إذا داوم على العمل أن يلحقه العيُّ[4]، ويعرض له الملل، لأنه محدود القدرة ضعيف الاستعداد، فليس ذلك من شأن الرب ذي القوة المتين:

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٧.

(٢) سورة البروج: الآيات ١٢ ـ ١٦.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

(٤) أي العجز والكسل.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾[1].

فالمخلوق لا يشبه الخالق في صفته، كما لا يماثله في ذاته، ولا يدانيه في كمالاته، كما أنه لا يقاربه في حقيقته، فله المثل الأعلى في السماوات والأرض:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2][3].

---

(١) سورة قٓ: الآية ٣٨.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٣) وقد ذكر الله جل شأنه عدم المثلية له من خلقه في شيء. وذكر أنه السميع والبصير، وهما صفتان متغايرتان له جل شأنه. وليستا مثل ما عند البشر في وجه من الوجوه، وهذا يخالف ما عند الزاعمين تنزيه الله، وما هو إلا التعطيل. وفي هذا إسقاط لكلام أهل الكلام وأتباعهم من المخرفين. وتنزيه لله عما يقوله الظالمون.. وتأكيد بأن لله الصفات العلا.

وحدة الإله

لا نزاع في أن كل عمل من الأعمال لا غنى له عن مرجع يُشرف عليه، ورياسة ينتهي أمره إليها، يكون لها السلطان التام على ذلك العمل.

وقد دلت التجاريب على أن العمل لا يصلح برئاستين، ولا ينتظم بسلطتين، فالبيوت والمنازل يختل نظامها وتسود فيها الهمجية، إذا لم يكن لها رئيس حازم، يدبر شؤونها، ويختص برعايتها.

والمدرسة تنتشر فيها الفوضى، إذا لم تتوحد سلطتها في ناظر يتولى أمرها، ويدبر عملها.

والمتجَر يبقى ما دام على رأسه مدبر، له فيه النفوذ المطلق، والتصرف التام.

ذلك الذي نُحِسُّه من أنفسنا، ونشعر به في أنظمتنا، هو الآية الناطقة بأن لذلك الكون إلهاً واحداً:

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

---

(١) سورة الذاريات: الآيتان ٢٠، ٢١.

ولو كان معه شريك في الملك، أو له معين في العمل، لاختلّ نظام السماوات وما فيها من كواكب، والأرض وما تحويه من أنهار وبحار، ونبات وأشجار:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1].

فوجود إلٰهين مدعاة للنزاع الدائم، والغلبة المستمرة، فإن من شأن الإله أن يكون صاحب السلطان المطلق، والسيطرة التامة، وليس له أن يخضع لغيره، أو يتفق هو ومن ينازعه؟

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾[2].

وكيف ينتظم حال عبد له آلهة متباينة، يختلف كل عن الآخر في أوامره ونواهيه، يحب أحدهما من الطاعات ما لا يحبه الآخر، ويُبغض من المعاصي والمنكرات ما لا يبغض؟ أم كيف يستقيم أمر عبد وقد تعددت ملاكه، وتنازعت فيه الشركاء، وكل يريد أن يضمه إليه، ليكون

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٩١، ٩٢.

عبده المطيع، وخادمه المخلص؟ وهل يستوي ذلك العبد هو وعبد ليس له إلا سيد واحد، يعرف ما يحبه منه فيسارع إليه، وما يسيئه فيجتنبه؟:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾[1].

ولو كان معه آلهة كما يزعم المشركون ما سكتوا عن مناوأته، ولاتخذوا طريقاً إليه ليغالبوه الأمر، وينازعوه الملك، وما رضوا له أن يستوي دونهم على عرشه، ويتصرف في خلقه:

﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾﴾[2].

وقد قرّرهم الله تعالى بالحجة تلوَ الحجة، والدليل عقب الدليل، حتى لا يجدوا إلى إنكار وحدة الله تعالى سبيلاً، إذا كانوا منصفين، ويعترفوا بانفراده بالخلق والأمر إذا كانوا للحق طالبين:

﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٩.

(٢) سورة الإسراء: الآيتان ٤٢، ٤٣.

شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة النمل: الآيات ٦٠ ـ ٦٤.

(٢) سورة القصص: الآيات ٧١ ـ ٧٣.

قدرة الله ومشيئته

من دلائل قدرة الله تعالى ومشيئته، أن سُخِّرت له الكائنات، وسجد لعظمته من في الأرض والسماوات، سجدوا لعظمته وفيهم الطائع والكاره، والمختار والمضطر:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ (١٥)﴾[١].

لأن الكل عبد لله تعالى خاضع، لا يعدُو حدّه، ولا يتجاوز قدره:

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾[٢].

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)﴾[٣].

---

(١) سورة الرعد: الآية ١٥.

(٢) سورة مريم: الآيات ٩٣ ـ ٩٥.

(٣) سورة الدخان: الآية ١١.

سخر الله للإنسان الفلك في البحار، وشق له من الأرض الأنهار، كما سخر له الشمس والقمر، وجعل النهار يعقبه الليل، والليل يتلوه النهار:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

من آيات قدرته، أن نرى الطير مسخرات في جوّ السماء ما يمسكهنّ إلا الله، ومن دلائل حكمته أن خَلَقَنا من ماء مهين، فجعله نطفة في قرار مكين، وأنه يحفظ الحبة في جوف الأرض من الهوامّ والحشرات، ثم ينبتها النبات الحسن، حتى تصير زرعاً يأكل منه الأنعام والآدميون، ولو شاء لجعله هشيماً يابساً.

وينزل من السماء ماء بقدر فيسكنه الأرض، ولو شاء لجعله ملحاً أُجاجاً، تمجه النفوس، وتنفر منه الطباع.

يجعل لنا من الشجر الأخضر ناراً هي ضرورية للحياة، ولازمة للمعيشة:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾

---

(١) سورة إبراهيم: الآيات ٣٢، ٣٤.

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[1].

يرينا أنه خلق السماوات بغير عمَدٍ تحملها، وألقى في الأرض رواسي مخافة أن تضطرب بمن عليها، وجعل فيها من كل دابة، وأنزل من السماء ماء فأنبت من كل زوج، ويتحدّى المشركين بأن ذلك خلقه وتلك آثاره فماذا خلق غيره:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾[2].

---

(١) سورة الواقعة: الآيات ٥٨ ـ ٧٤.

(٢) سورة لقمان: الآيتان ١٠، ١١.

يرينا أنه خلق كل دابة من ماء، وجعلها أشكالاً مختلفة، وصوراً متباينة كما قضت به حكمته، وسبق به علمه:

﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

يلفتنا إلى تحويلنا من حال إلى حال، وتنقلنا من طور إلى طور، يخلقنا أطفالاً ضعفاء، ثم يجعلنا شباباً أقوياء، ثم شيوخاً شيباً: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةًۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾[2].

كل هذه الآيات والعبر، من سماء رفعها، وأرض بسطها، وجبال أرساها، وأنهار شقها، وبحار أجراها، وفُلك سيَّرها، وكواكب أنارها، ونطف صوَّرها، ومياه أنزلها، وزرع أنبته، وشجر أنشأه: دلائل واضحة، وآيات ناطقة، بأن لها رباً قادراً حكيماً، له الخلق والأمر، يعمل حسب مشيئته، ويمضي وفق علمه، يعطي الملك ويمنعه، يعز ويذل، بيده الخير وإليه المصير:

---

(١) سورة النور: الآية ٤٥.

(٢) سورة الروم: الآية ٥٤.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[1].

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٢٦، ٢٧.

حياة الله تعالى وعلمه

متى قامت الأدلة على أن لذلك العالم إلٰهاً دبره، له ملك السماوات والأرض، يقوم على كل نفس بما كسبت، وجب أن يكون حياً حتى يمنح غيره الوجود، ويهبه الحياة، ولو كَان ميتاً ما استطاع ذلك، لأن الفاقد للشيء لا يعطيه، والمحروم من المزية لا يفيدها: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(١).

وكيف يوصف بالقدرة التامة والمشيئة النافذة، والعلم المحيط والرحمة الواسعة، من فقد صفة الحياة؟ أم كيف يقوم بتدبير هذا العالم الكبير من عرشه لفرشه، من تعرض له الغفلة، أو يجوز عليه ما يطرأ على المخلوق، من نوم، أو نعاس(٢)؟.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا

---

(١) سورة غافر: الآية ٦٥.

(٢) وفي هذا الرد على الزاعمين أن الله جعل في الناس الأقطاب والغوث وأمثال ذلك، وفوضوا لهم التصرف في الكون. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[1].

وإذا كان الله تعالى هو الذي خلق ذلك العالم، وأبدع ذلك الكون، خلقه كما أراد، وأبدعه كما شاء، فلا بدّ أن يكون عالماً بما أبدع، محيطاً بما خلق، ومن المحال أن يخلق خلقاً وهو لا يعلمه، ويبدع كوناً وهو لا يعرف تفاصيله:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾[2].

من المحال أن يخلق السماوات وما أظلت، والأرض وما أقلّت، وهو لا يعلم ما فيهما من نبات وأشجار، وجبال وبحار، وكواكب تضيء، ودوابّ قد اختلفت أشكالها، وأناسيّ تباينت لغاتها:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[3].

من المحال أن يربي النطف في الأرحام، وينقلها من طور إلى طور، فمن نطفة إلى علقة، ومن علقة إلى

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٢) سورة الملك: الآية ١٤.

(٣) سورة الحديد: الآية ٤.

مضغة، ومن مضغة إلى عظام، ثم يكسوها لحماً وينشئها خلقاً آخر.

وهو لا يعلم أطوارها، ولا يدري ما يحيط بها، من صحة وفساد، وزيادة ونقص:

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾(١).

فهو تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم ما توسوس به النفس من خطرات، وما يلمّ بها من أحاديث:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾(٢).

[عنده مفاتيح الغيب]

مفاتيح الغيب بيده، وعلم المستقبل موكول إليه، لا يحيط به غيره ولا يدريه سواه:

---

(١) سورة الرعد: الآيات ٨ ـ ١٣.

(٢) سورة قٓ: الآيات ١٦ ـ ١٨.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾[2][3].

سمع الله تعالى وبصره

لا نزاع في أنه لا يستوي بصير وأعمى، ولا سميع وأصمّ، كما لا تستوي الظلمات والنور، ولا الظل ولا الحرور:

﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٢) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(٣) كان من السائد بين الناس أن علم ما في الأرحام هو ما في بطون الحوامل، مع أن المقصود هو ما في الأرحام من قبل ذلك، وكم فسح الله فيما علّم الناس من الأمور مما كان مجهولاً عندهم. وكله ـ والحمد لله ـ يدل على عظمة الله جل شأنه.

(٤) سورة هود: الآية ٢٤.

فالفرق بين البصير والأعمى، والسميع والأصمّ، بدهيّ لا يحتاج إلى دليل، ولا يتوقف على نظر، وإن من يعبد إلٰهاً لا يسمع من دعاه، ولا يرى عابده، قد سَفِهَ نفسه، وفقد رشده، ولذا يقول خليل الله إبراهيم:

﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾[1].

فهو يبكته على عبادة إلٰه قد تجرد عن هذه الخصائص، وخلا عن هاتيك المزايا، وما ذاك إلا لأن المودَع في الفطر، أن هذه كمالات لا يصح أن يخلو الإلٰه المعبود منها، ولا يليق أن يتصف بما يقابلها.

وقد كَان من أشد الحجج تأثيراً على عُباد الأصنام قول إبراهيم عليه السلام:

﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾[2].

فالإله الذي يستحق أن تخضع له الرقاب، وتُؤَلِّهَهُ النفوس، وتفرده بأرقى مراتب المحبة والإِكبار، هو السميع لشكاية عبيده، البصير بأعمال خلقه، يسمع سرهم ونجواهم، ويرى صغيرهم وكبيرهم:

---

(١) سورة مريم: الآية ٤٢.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ٧٢، ٧٣.

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ١﴾[1].

يستغيثه نبيّ الله موسى وأخوه هٰرون من فرعون وبطشه، فيطمئنهما بأنه معينهم وناصرهم، يسمعهم إذا استعانوا به، ويراهم إذا فَرط عدو الله عليهم، فلا يهمهم بطشه، ولا يضيرهم وعيده، ولا غنى لهم عن تبليغ الرسالة، وتأدية الأمانة:

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ٤٧﴾[2].

وجدير بعبد يعرف أن له إلهاً يراه في خلوته وجلوته، وسره وعلانيته، أن يخلص له العبادة، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه:

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾[3].

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١.

(٢) سورة طه: الآيات ٤٤ ـ ٤٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

كلام الله تعالى

كما أن الفِطَرَ لا تسوِّي بين أعمى وبصير، ولا بين أصمّ وسميع، هي لا تسوِّي بين أبكم لا يستطيع النطق، ومتكلم يأمر بما يحب، وينهى عما يُبغض:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾[1] ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾[2] ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾[3].

وقد كَاد نبي الله إبراهيم عليه السلام لأصنام قومه الذين فُتنوا بعبادتهم، فجعلهم فُتاتاً عدا الصنمَ الأكبر فيهم، ليرجعوا إليه إن كانوا مفكرين، ويناقشوه الحساب، إن كانوا لعقولهم مستعملين، حتىٰ إذا سألوا ذلك الصنم فلم ينطق، وناقشوه فلم يتكلم، رجعوا إلى رشدهم، وعرفوا أنهم ظالمون لأنفسهم، بعبادتهم أصناماً صنعوها بأيديهم:

---

(١) سورة النحل: الآية ٧٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٨.

(٣) سورة طه: الآية ٨٩.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

ومن عبَد إلٰهاً عاجزاً لا ينطق إذا حلّ به مكروه، ولا يتكلم إذا ناله سوء، فهو رجل أحمق، قد سَفِه نفسه، ونقص مقام الإلٰهية حقه، وكيف يستحق العبادة إلٰه ليس له من صفة الكلام، ما تُعلم به أوامره ونواهيه، أم كيف يكون له رسل يبشرون وينذرون؟ ينشرون دعوته، ويبلغون دينه، فدل ذلك كله على أن من كمال الإلٰه أن يكون له صفة ذاتية، يُعلِم بها من يشاء من عباده متى شاء، وهذا الإعلام هو التكليم والوحي.

وليس لنا أن نبحث عن كيفية كلامه القديم[2]، ولا عن كيفية تكليمه لرسله وإيحائه إليهم، فإن ذلك شأن من

---

(١) سورة الأنبياء: الآيات ٥٧ ـ ٦٤.

(٢) لفظ (القديم) جديد على المعتقد. ولم يستعمله السلف.

شئونه لا يحدده غيره، ولا يعرفه سواه، فنؤمن بذلك[1].

---

(١) قلت: إن كان يعني البحث في صفة الكلام الإلهي بمجرد الظن والرأي كمثل القول بالكلام النفسي، فلا غبار عليه.
وإن كان يعني بذلك التمهيد لنفي شيء تلزم منه نفي أو على الأقل الشك في حقيقة الكلام الإلهي مثل كونه كلاماً مسموعاً، فذلك مردود عليه لثبوت ذلك في السنة المفسرة للقرآن، مثل قوله صلى الله عليه وسلم:
«إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فُزِّعَ عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول الحق، فيقولون: الحق الحق».
أخرجه أبو داود (٤٧٣٨) بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً. ورواه البخاري (٤/ ٤٧٦) معلقاً موقوفاً على ابن مسعود بلفظ: «... فإذا فُزِّع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق». وراجع «فتح الباري» (١٣/ ٣٨١ ـ ٣٨٢)، وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً نحوه. أخرجه البخاري والترمذي (٢/ ٢٦٣) وصححه وابن ماجه (١٩٤)، وراجع تفصيل الكلام في صفة الكلام على نهج السلف في «شرح العقيدة الطحاوية» (١٦٨ ـ ١٧٩).
ثم إن وصف كلام الله تعالى بـ(القديم) فيه نظر على طريقة السلف، لأن ذلك مما لم يرد عنهم. (ن)
وانظر «صحيح سنن أبي داود ـ باختصار السند» ٣٩٦٤، و«صحيح سنن الترمذي ـ باختصار السند» ٢٥٧٥، و«صحيح سنن ابن ماجه ـ باختصار السند» ١٦٠، و«صحيح الجامع =

ونؤمن بأن القرآن كلام الله تعالى الذي أنزله على خيرة خلقه نبينا محمد ﷺ، وهو معجزته الدائمة، وحجة الله القائمة، ليس قولاً للبشر، وإنما هو كلام واهب القُوى والقُدَر، سمِعَه المشرك والموحد، والمؤمن والملحد، من اهتدى به رُشَد، ومن أعرض عنه ضلّ وهلك:

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[1].

أفعال الله تعالى وحكمته

إن لله تعالى في خلقه شئوناً لا يعلم حدها غيره، ولا يحيط بها سواه، بيده وحده الإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، والإعزاز والإذلال:

= الصغير» ٤٣٦. للألباني طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ إشراف زهير الشاويش.

وعلى كل حال فإن ما توهمه الشيخ الألباني من كلام المؤلف التمهيد الشك في حقيقة كلام الله!! شيء لا دليل عليه من قول المؤلف ـ رحمه الله ـ وكلامه لا غبار عليه. وآخر كلامه واضح من غير لبس ولا غموض.

(١) سورة طه: الآيات ١٢٣ ـ ١٢٦.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾(١).

لا مانع لما أعطاه، ولا معطي لما منعه، من هداه فلا أحدَ يضله، ومن أضله فلا هادي له سواه.

وهو في كل شؤونه لا يعدو حدّ الحكمة، ولا يتخطى قانون العدل، كتب ذلك على نفسه، يهدي من أقبل عليه، واستمع لداعيه، ويُضل من أعرض عن دعوته وأصمّ أذنه عن سماع الحق:

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾(٢).

يضع كلا حيث وضعه عمله، ويجزيه عليه الجزاء الأوفى، لا يسوّي سبحانه بين خبيث وطيب، ولا بين مصلح ومفسد:

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٦.

ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

يُمدّ من يعمل للدنيا، ويعين من يعمل للآخرة، كلّ حسب استعداده، ومقدار نشاطه، فمن كانت الدنيا همه، وعمل لها، عجل الله له فيها من الرزق ما شاء أن يعجل له، وجعل النار عاقبته، ومن عمل للآخرة وهو مؤمن بربه، واثق بلقائه، شكر الله له سعيه وأثابه مع من أثاب:

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾[2].

فهو سبحانه يعطي الدنيا من يعمل لها، أحبهُ الله أم كرهه، ولا يعطي الدين إلا مَن أحبَّه، فليس المال أمارة الرضا، بل هو ابتلاء من الله تعالى كسائر النعم، لينظر أيقوم العبد بحقه أم يحارب به مولاه؟

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[3].

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢١.

(٢) سورة الإسراء: الآيات ١٨ ـ ٢٠.

(٣) سورة التغابن: الآية ١٥.

حاجة الناس إلى الرسل

كان الناس ولا يزالون ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مشتبكة المصالح، مرتبطة الحاجات، لا يستطيع واحد من الأمة أن يعيش وحيداً كما يعيش بعض الحيوانات والوحوش، وتراهم بفطرهم مدفوعين إلى الحصول على طرق معاشهم، وسبل حياتهم، يدفعون عن أنفسهم ما يعتقدون ضرره، ويجلبون لها ما يرون نفعه.

وكثيراً ما يخطئون في تحديد النافع والضارّ، فقد يكون الشيء نافعاً عند قوم، ضاراً في نظر آخرين، فإذا تركوا وشأنهم في تحديد مصالحهم فلا غنى لهم عن الخلاف، وهو شرّ مستطير على الإنسان الذي خلقه الله لعمارة الأرض.

فكان من حِكمة الله تعالى أن يرسل رسلاً هم المرجع عند الاختلاف، والموئل عند التنازع:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾[١].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

من لطف الله بخلقه أن بعث فيهم رسلاً مبشرين ومنذرين، يعرّفونهم الفضائل ويدعونهم إليها، ويبينون لهم الرذائل وينفرونهم منها، يعلمونهم ما يصلح دنياهم التي فيها معاشهم، ودينهم الذي هو عصمة أمرهم، جعلهم الله رحمة للعالمين، ليهدي بهم من الضلالة، وَيُنقذ بهم من الجهالة، يفتح بهم أعيناً عُمْياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً، يؤلف بهم القلوب بعد شتاتها، ويوضح بهم المحجة بعد خفائها، فهم من الأمم بمنزلة الروح من الجسم، والنور من الظلمة.

يحيي الله تعالى بروح رسالتهم من أماتته ظلمة الجهل، وينير بهداية بعثتهم من أعمته الشهوات، واستهوته الشياطين:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1].

أرسلهم الله تعالى أئمة للمتقين، ومناراً للسائرين، لتكون لله على العصاة الحجة البالغة، فتنقطع أعذارهم إذا حقت عليهم كلمة العذاب، وتُخرس ألسنتهم إذا قدموا في آخرتهم للعقاب:

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾[1].

يعلمون الناس أن لهم ربّاً يُرجى ثوابه، ويُخشى عقابه، لم يخلق الناس عبثاً، ولم يتركهم سدى.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[2].

يعرفونهم أن لهم حياة وراء هذه الحياة يحصُد الناس فيها ما يزرعون ويجدون عندها ما يقدمون، يحاسبون فيها على الصغير والكبير، والعظيم والحقير:

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[3].

لا يُحلون لهم إلا ما تطيب به نفوسهم، وتتهذب به أخلاقهم، وتصح به أجسامهم، ولا يحرّمون عليهم إلا ما يلوث فطرتهم، ويفسد عقولهم، ويمرض أجسامهم،

---

(١) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ١١٥، ١١٦.

(٣) سورة الأنبياء: ٤٧.

يأمرونهم بما تعرفه الطباع من الفضائل، وينهونهم عما تنكره النفوس من الفواحش:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[١].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

الأنبياء والرسل وصفاتهم

اختار الله تعالى من بني الإنسان طائفة اختصها بعلوّ في الفطرة، ورجاحة في العقل، وعصمها عن كل ما يشوّه السيرة البشرية من الفواحش الظاهرة والباطنة، لتكون للناس أسوة حسنة، وقدوة صالحة.

فمن اختاره الله تعالى لذلك المنصب، ولم ينزل عليه شريعة يبلغها للناس فهو نبيّ وليس برسول، ومن كلفه مع ذلك بشرع يبلغه للناس، ويحملهم بالحجة والبرهان على العمل به، فهو نبي ورسول.

ولا بد للرسول مع ما تقدم من الخصائص من الأمانة في تبليغ كل ما عُهد إليه أن يبلغه، وسلامة بدنه مما تنفر منه الأذواق السليمة، وتنبو عنه الأبصار، لأن ابتلاءه بشيء من ذلك يصرف الناس عنه، فلا يتم الغرض من بعثته، وهو جمع الناس عليه، والتفافهم حوله، ولو انحطت فطرهم، أو ضعفت عقولهم، لم يكونوا أهلاً لذلك المنصب الجليل الذي اختصهم الله تعالى به، ولو كذبوا أو خانوا لضعفت ثقة الناس بهم، ولكانوا مضللين لا مرشدين، فتذهب الحكمة من بعثتهم.

وهم فيما عدا ذلك كبقية البشر، يأكلون ويشربون، ويتناكحون ويمرضون، وتمتدّ إليهم الظلمة وقد يقتلون، ونقف عن تحديد عددهم[1].

---

(١) قلت: كأنه يعني أنه لم يصح في عدد الأنبياء والرسل شيء، وذلك غير مسلم في الرسل، فقد أخرج الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٦٢) من طريق معاوية بن سلام حدثني زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني أبو أمامة:
«أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم معلم مكلم، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: عشر قرون، قال: كم كان بين نوح وإبراهيم؟ قال: عشر قرون، قالوا: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: ثلاثمائة وخمس عشرة جماً غفيراً».
أخرجه الحاكم (٢/ ٢٦٢) وقال:
«صحيح على شرط مسلم». ووافقه الذهبي، وهو كما قالا. وقد أخرج شطره الأول ابن منده في «التوحيد» (ق١٠٤/ ٢) وعند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/ ٣٢٥/ ٢) وقال ابن منده:
«هذا إسناد صحيح على رسم مسلم والجماعة إلا البخاري، وروي من حديث القاسم أبي عبد الرحمن وغيره عن أبي أمامة، عن أبي ذر بأسانيد فيها مقال».
قلت: وحديث أبي ذر أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٤٧٨) قال: حدثنا المسعودي عن أبي عمر الشامي، عن عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر به دون قضية نوح وإبراهيم. وكذلك أخرجه أحمد (٥/ ١٧٨) [٢١٥٣٥] وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٦ ـ طبع أوروبا) [١/ ٣٢ دار صادر بيروت ١٩٥٧م]. =

ونؤمن بما قصه القرآن علينا من أخبارهم، وهم مع

= **قلت**: وهذا إسناد فيه مقال كما تقدم عن ابن منده، عبيد بن الخشخاش لين كما في «التقريب»، وأبو عمر الشامي قال الأزدي: «متروك». والمسعودي كان اختلط. ومن طريقه أخرجه البزار والطبراني في «الأوسط» مجمع (١/ ١٦٠).

وله طريق أخرى، أخرجه ابن حبان وابن مردويه من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثني أبي عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر به.

قلت: وإبراهيم هذا متروك. قال الذهبي: مشاه ابن حبان فلم يصب.

وله طريق ثالث أخرجه الحاكم (٢/ ٥٩٧) عن يحيى بن سعيد السعدي البصري؛ ثنا عبد الملك بن جريج، عن عطاء عن عبيد بن عمير الليثي، عن أبي ذر به. وسكت عليه الحاكم وقال الذهبي:

«قلت السعدي ليس بثقة».

وأما حديث أبي أمامة فيرويه معان بن رفاعة حدثني علي بن يزيد، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة.

وهذا إسناد ضعيف، معان بن رفاعة وعلي بن يزيد ضعيفان كما قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٩).

وفيه وفي حديث أبي ذر من الطريق الثانية والثالثة زيادة:

«كم النبيّون قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي».

وروي عن يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً:

«بعث الله تعالى ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل».

أخرجه أبو بكر الشافعي في «الفوائد» (ق٧٩/ ٢) والحاكم (٢/ ٥٩٧) =

اشتراكهم في هذه الصفات قد فضل الله تعالى بعضهم على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات[1]:

= والطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» (٨/ ٢١٠) وأبو يعلى كما في «ابن كثير» وقالا: «يزيد الرقاشي ضعيف».
ثم ذكره ابن كثير من طريق أحمد بن طارق حدثنا مسلم بن خالد حدثنا زياد بن سعد، عن محمد بن المنكدر، عن صفوان بن سليم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره، وقال:
«وهذا غريب من هذا الوجه، وإسناده لا بأس به، رجاله كلهم معروفون؛ إلا أحمد بن طارق هذا، فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح. والله أعلم».
قلت: مسلم بن خالد هو الزنجي، صدوق كثير الأوهام، كما في «التقريب»، فالإسناد لا يخلو من بأس وضعف.
وأخرج أحمد (٣/ ٧٩) [١١٧٣٧] والحاكم (٢/ ٥٩٧) عن مجالد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ: «إني خاتم ألف نبي أو أكثر».
قال الذهبي: «قلت: مجالد ضعيف».
وقال الحافظ ابن كثير: «ورجال إسناد هذا الحديث لا بأس بهم».
كذا قال، والصواب أن مجالداً ضعيف كما قال الذهبي.
وجملة القول أن الأحاديث في عدد الأنبياء مع ضعف أسانيدها متعارضة. وأما عدد الرسل فحديثه صحيح. كما سبق تحقيقه. (ن).
وبذلك يكون كلام المؤلف رحمه الله لا غبار عليه.

(١) إن هذا الرفع يبقي منزلة كل واحد منهم في مكان عظيم.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[١].

وعلينا أن نؤمن بهم جميعاً[٢]، وبما أنزل الله تعالى عليهم من الكتب؛ لا نفرّق في الإيمان بين أحد منهم:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[٣].

وأن من يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض لا يعتدّ الله تعالى بإيمانه، ولا يبالي بتصديقه، فإن الرسل سواء في رسالتهم، ووجوب الإيمان بهم، ولا فرق في ذلك بين رسول ورسول، فالمنكر لرسالة بعضهم منكر لرسالة الجميع[٤]، ولا فرق عند الله بين من جحد أصلاً من أصول الدين، ومن أنكر الدين كله:

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٢) ولا ينافي التفاوت بينهم في وجوب الإيمان بهم جميعاً من غير تفريق.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٤) وذلك لأن الرسالات يكمل بعضها بعضاً، ونبينا محمد ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله. فجعل الناس يطيفون به. يقولون: ما رأينا بنياناً أحسن من هذا. إلا هذه اللبنة. فكنت أنا تلك اللبنة».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾﴾(١).

عموم رسالة النبي ﷺ

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾(٢).

بُعث [سيدنا محمد بن عبد الله] ﷺ إلى الناس كَافة، عربيهم وأعجميهم، يهوديهم ونصرانيهم، فشريعته دائِمة،

= والحديث متفق عليه وعند أحمد والترمذي وغيرهم عن أُبي وجابر وأبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهم واللفظ لمسلم. وعلى ذلك فقد نُفي الإسلام عن الذين أنكروا رسالة سيدنا محمد من أتباع الأديان السابقة، وحتى إن سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ عندما يأتي آخر الزمان يكون متبعاً لشريعة الإسلام.

(١) سورة النساء: الآيات ١٥٠ ـ ١٥٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

وهدايته مستمرة، بعث بكتاب مهيمن على سائر الكتب السماوية:

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[1].

آية من آيات الله الناطقة، وحجة من حججه الناهضة، لا يثقل على السمع وإن تكرَّرت مبانيه، ولا تتناقض عند ذوي العقول معانيه:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[2].

أبلغنا قصص الأولين على بُعد أزمنتهم، وأخبار الماضين على انقطاع الصلة بيننا وبينهم:

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١١١﴾[3].

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٣) سورة يوسف: الآية ١١١.

ومن ذلك ما قصه عن داود وسليمان عليهما السلام من إلانة الحديد، وسيلان النحاس، وزعمت الموسوعة الفلسطينية في القسم الثاني ١/ ٥٨: «أنه لا علاقة للملك سليمان أيام دولته الموحدة باستغلال هذه المناجم..». =

أخبرنا بكثير من المغيبات فكان الخبر صادقاً، والحديث حقاً:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾(1) ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ

= وقالت الموسوعة في ١٠٩/١: «ويخطئ من يظن أن مناجم النحاس هذه هي مناجم النبي سليمان، لأنه لم تظهر حتى الآن أدلة آثارية على ذلك..».

وقد رددت عليهم في كتابي «الملحوظات على الموسوعة الفلسطينية» وفي الملحق «نظرية الموسوعة الفلسطينية» بما فيه الكفاية.

وبفضل الله انكشف ما في هذه الموسوعة من ضرر وحيف على فلسطين وأهلها وظلم للإسلام والمسلمين.. وتقرر إيقافها من قبل الذين أصدروها. وتبرأ منها من ساعدها من الحكومات، وتوقف عن مساعدتها من تبرع لها من الملوك والرؤساء.

وقد كتب المشرف عليها العلامة الدكتور أنيس الصائغ معلناً توقفها، مشيداً بـ«الملحوظات» عليها في أكثر من مكان. وكان آخر ذلك في جريدة «السفير» العدد ٧٥٤٠ بتاريخ ١٩٩٦/١١/٩ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(1) سورة الروم: الآيات ١ ـ ٥. =

ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾[١].

كلما اتسع نطاق العلم تكاثرت الأدلة على حقيته، وتجدّدت الآيات على أنه من عند الله:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[٢].

جاء لتطهير العقائد مما لوّثها، وإبعاد الأخلاق عما دنسها، ووضع للمعاملات أصولاً عادلة، وقوانين شاملة، لا تسعد الأمم بدون مراعاتها، ولا يسود السلام إلا بالمحافظة عليها.

أصلح حال الأسرة، وحدّد واجب الخادم والمخدوم، والرجل والمرأة، ووضع للمواريث نُظُماً هي غاية في الحكمة.

حذّر من المنكرات على اختلاف أنواعها، ورغب في الطيبات على تنوّع مشاربها.

فكان جديراً به أن يكون ختاماً للكتب:

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٧.

(٢) سورة فصلت: الآية ٥٣.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾[١].

المعجزة

المعجزة: حادث غريب جاء على يد رجل يدّعي أنه رسول من عند الله تعالى، من شأن ذلك الحادث أن يكون فوق طاقة المخلوق، كالإنة الحديد لنبيّ الله داود[٢]، وإسالة النحاس لنبي الله سليمان، وانقلاب العصا ثعباناً لنبيّ الله موسى، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله لنبيّ الله عيسى، صلوات الله وسلامه عليهم، إلى غير ذلك من الحوادث الغريبة التي لا يستطيعها مخلوق، ولا يقدر عليها بشر.

فإذا ظهرت على يد رجل في وقت يدّعي فيه الرسالة

---

(١) سورة الفتح: الآيتان ٢٨، ٢٩.

(٢) لم يحدد الله كيف ألان الحديد لداود عليه السلام، ولكن ذكر شيئاً منه بقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾، وما كان صنع اللبوس من الحديد إلا بإلانته.
ومن سوء الاستعمال عند بعض الناس أن يزعم أحدهم عن أحد المعاصرين: أن الله قد ألان له علم الحديث!! كما ألان لداود الحديد.. وهذا من سخافة العقول الضحلة، وما تؤدي إليه العصبية والغلو.

عن ربه، والوساطة بينه وبين خلقه في تبليغ دينه، عُلم أن الله تعالى لا يريد بخلق ذلك الحادث الغريب سوى تصديق صاحبه فيما يدّعي، وتأييده فيما يقول، وبذلك تقوم حجته على معانديه، وتُخرس ألسنة خصومه، لأنه يطالبهم بأن يأتوا بحادث غريب كحادثه، ويخرقوا من العادات كما خُرق له، فإذا عجزوا عن الإتيان بمثاله قامت عليهم الحجة، وظهرت لطالب الحق المحجة:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1].

وقد خرق الله لنبينا محمد ﷺ العادات، كما خرق لسلفه من الرسل عليهم السلام.

وأيده بالآيات البينات، وناهيك بمعجزة هي أشرف معجزاته، كتاب الله الناطق، وحجته البالغة ومعجزته الدائمة على مدى الأيام وتكرر السنين، أنزله الله تعالى عليه بعد أن بلغ أربعين سنة.

وهو أميّ لم يقرأ سِفراً، ولم يتعلم خطاً[2]، وطلب من العرب الخلص الإتيان بمثل ذلك الكتاب فضعفوا، بل طالبهم بسورة من مثله فعجزوا، وليس ذلك عن عُقدة في

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٢.

(٢) زعم بعضهم أنه تعلم الكتابة، وقصدهم من ذلك أنه عرف ما عند الأقدمين من كلام، وهذا كله كذب.

ألسنتهم، ولا عن عِيٍّ في قوة بيانهم، بل لأنه فوق طاقتهم، وخارج عن مقدرتهم[1].

وهنالك آمن به مَن آمن، فكان القرآن حجة له، وكفر من كفر فكان حجة عليه.

هذا وإذا ظهر الحادث الغريب على يد من وقف عند حدود دينه، ولم يدّع الرسالة عن ربه، فهو **كرامة** من الله تعالى لذلك الصالح، كالبركة في طعام أبي بكر[2] القليل، حتى شبع منهُ خلق كثير، وأمثال ذلك من خوارق العادات[3].

---

(١) زعم بعضهم أن الله صرفهم عن ذلك. . . ولكن وقد مضت القرون وتوسعت الثقافات ولم يوجد من استطاع شيئاً من ذلك.

(٢) وهو الصديق. أول من آمن برسول الله بعد أم المؤمنين خديجة، وكان لرسول الله خير معين. وهو الخليفة الأول وأحب الناس لرسول الله، وابنته عائشة الصديقة أحب نساء النبي إليه.

(٣) قلت: يشير إلى ما في «صحيح البخاري» (١/ ١٥٩) عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق:
«أن أصحاب الصُّفة كانوا ناساً فقراء، وأن النبي ﷺ قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربعٌ فخامس أو سادس».
وأن أبا بكر جاء بثلاثة، فانطلق النبي ﷺ بعشرة. قال: فهو أنا وأبي وأمي - فلا أدري هل قال: وامرأتي - وخادم بيننا =

. . . .

= وبين أبي بكر، وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ، ثم لبث حيث صُلِّيت العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي ﷺ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله، وقالت له امرأته:

ما حبسك عن أضايفك أو قالت: عن ضيفك؟ قال: أوَما عشَّيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء، قد عُرِضوا فأبوا، قال: فذهبت أنا فاختبأت، فقال: يا غُنثُر فجدّع وسب، وقال: كلوا، لا هنيئاً لكم، فقال: والله لا أطعمه أبداً، **وآيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها**، قال: يعني حتى شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر منها. [فقال لامرأته: يا أُخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقُرَّة عيني، لهي الآن أكثر منها] قبل ذلك بثلاث مرار، فأكل منها أبو بكر، وقال: إنما كان ذلك من الشيطان ـ يعني يمينه ـ ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي ﷺ، فأصبحت عنده. وكان بيننا وبين قوم عقد فمضى الأجل، ففرقنا اثني عشر رجلاً، مع كل رجل منهم أناسٌ، والله أعلم كم مع كل رجل؟ فأكلوا منها أجمعون، أو كما قال. (ن).

البعث

قامت الأدلة القاطعة على أن الله تعالى حكيم في صنعه، لم يخلق الناس عبثاً، ولم يتركهم سدى، لذلك كان من الحكمة أن تكون لهم حياة، وراء هذه الحياة، ينصف فيها المظلوم من الظالم، ويقام فيها قانون العدل بين الخلائق:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[1].

ولو فكر الإِنسان فيما حَوْلهُ من عبر وآيات، وما على الأرض من نبات مختلف، وجنات منشآت، وكيف يحيي الله بالماء الأرض بعد موتها، وتهتزّ وتربو بعد جمودها، لعلم أن من قدر على ذلك قدير على أن يعيد الخلق إلى ما كانوا، ويردّ إليهم الحياة بعد أن فارقتهم زمناً طويلاً:

---

(١) سورة القيامة: الآيات ٣٦ ـ ٤٠.

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾[1]
﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾[2].

وأيّ فرق بين الإعادة والبدء؟ فإذا كان الله تعالى هو الذي بدأ الخلق، ووهب الحياة، فما الذي يحول بينه وبين الإعادة؟

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[3].

---

(١) سورة الروم: الآية ٥٠.
(٢) سورة قٓ: الآيات ٦ ـ ١١.
(٣) سورة يسٓ: الآيات ٧٨ ـ ٨٣.

على أن من شأن الإعادة أن تكون أيسر من البدء، لأنها جمع لمتفرّق، والبدء إنشاء واختراع، وإن كان الكلّ تتناوله قدرة الله تعالى، ولا يخرج عن سلطانه:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[1].

اليوم الآخر

اتفقت الكتب السماوية، والشرائع الإلٰهية، على أن هناك يوماً هو آخر أيام الدنيا. يقف الله تعالى فيه الناس على مقادير أعمالهم، ويحاسبهم على ما قدّموا للقاء ربهم. تساق فيه الخلائق بعد خروجها من القبور إلى ربها سوقاً، ويجمع الله فيه الموتى، فلا يترك منهم فرداً:

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا

---

(١) سورة الروم: الآية ٢٧.

عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[1].

وكثيراً ما يخوّفنا الله تعالى شدة ذلك اليوم، ويحذرنا شره المستطير:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[2].

يوم يحاسب فيه كلّ على ما قدّم، ويجزي عليه الجزاء الأوفى، لا ينفع فيه مال صاحبه، ولا يدفع فيه ولد عن أبيه:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[3].

تنقطع فيه الصلات، وتتفرّق فيه الجماعات، إلا صلة أساسها الدين، وعروتها الإيمان:

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[4].

يشتد فيه بالخلائق الأمر، ويعظم بينهم الخوف، حتى

---

(١) سورة الكهف: الآيات ٤٧ ـ ٤٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨١.
(٣) سورة الشعراء: الآيتان ٨٨، ٨٩.
(٤) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

تنسى المرضعة من شدة الأمر رضيعها، وتضع ذات الحمل حملها:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾[1].

فلا يجرُؤ نبيّ مرسل، ولا ملك مقرب، أن يشفع لأحد من الخلق إلا بعد أن يستأذن ربه في وساطته، ويرضى عنهُ في شفاعته[2]:

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾[3] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ[4] يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ

---

(١) سورة الحج: الآية ٢.

(٢) توسع بعض الناس في فهم الشفاعة وحملوها ما تحمل وما لا تحمل. وقد أثبتها الله لبعض خلقه، فنفت عندما أثبت الله.
كما أن الله قد يعفو عن ذكر من غير شفاعة أحد بفضله وكرمه. كما في حديث البطاقة وحديث القبضة.

(٣) سورة الأنبياء: الآيات ٢٦ ـ ٢٨.

(٤) الغريب إن بعض الناس يقيسون أمر ربنا جل شأنه على =

مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

ولا تزال الناس كذلك حتى يُفصَل بين الخلائق، فإما إلى جنة، أعدّها الله للمتقين، وإما إلى نار، أعدها للعصاة والمجرمين:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[2]، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[3].

= أمورهم الدنيوية، وهم بزعمهم راغبون في تنزيه الله ـ زعموا ـ وغاب عنهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.
وبذلك يكون الاستواء معلوم لله، والكيف مجهول.

(١) سورة يونس: الآية ٣.
(٢) سورة الروم: الآيات ١٤ ـ ١٦.
(٣) سورة النازعات: الآيات ٣٧ ـ ٤١.

خاتمة في السمعيات

قد قام البرهان القاطع على أن رسول الله ﷺ صادق فيما يقول، محقّ في كلّ ما ادّعى، فوجب أن نؤمن بكل ما أخبر به عن ربه، لأن العقل لا يحيله، والمعصوم قد أَتي به[1].

ونؤمن بأن لله تعالى رسلاً لا يعلم عددهم غيره[2]، منهم من قصّ الله على رسوله ﷺ خبرهم، ومنهم من سكت عنه. وأنّ لهم كتباً سماوية كَالتوراة التي أنزلها الله على نبيه موسى، والإنجيل الذي أنزلهُ الله تعالى على رسوله عيسى، والزبور الذي أنزلهُ على نبيه داود[3]،

---

(١) والمعصوم هنا سيدنا محمد ﷺ، وعصمته فيما يخبر عن ربه. وعلى ذلك فكل دعوى العصمة لأحد من الخلق فإنها في غير محلها، وتجاوز لا معتمد له من دين الله، ولا مستند له من العقل.

(٢) قلت: بلى قد أعلمنا بعددهم بواسطة نبيه محمد ﷺ، فقال: «إنهم ثلاثمائة وخمس عشرة» كما عند الحاكم في مستدركه ٢/ ٢٦٢ وعند غيره. وقد تقدم في الصفحة ٤٩.

(٣) والموجود بين أيدي الناس من هذه الكتب قد دخلها التحريف =

والفرقان الذي أنزلهُ الله تعالى على نبينا محمد ﷺ وعلى جميع أنبيائه.

[الإيمان بالملائكة]

ونؤمن بأن لله تعالى جنداً عظيماً من الملائكة، وهم عالم مغيب عنا لا تراه أعيننا، ولا تلمسه أيدينا، وأنهم عباد الله مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤْمرون، وفيهم العامة والخاصة، وفيهم جبريل، وميكائيل، وملك الموت[1]، وحملة العرش، وخزنة الجنة والنار، والحفظة الذين يتعاقبون فينا، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، وغيرهم مما

= والتبديل، وقد يكون بقي فيها شيء من كلام النبوة الأولى! ولكن هذا لا يعرف، ويصدق إلا ما قاله الله في القرآن الكريم.

(١) لقد أحسن المصنف صنعاً بإعراضه عن تسميته ملك الموت بـ«عزرائيل» فإن هذا الاسم على شهرته عند الناس ليس له أصل في الكتاب والسنة، وإنما هو من الإسرائيليات واسمه في القرآن والسنة «ملك الموت». قال الحافظ ابن كثير في «البداية» (١/ ٥٧):

«وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بـ(عزرائيل). والله أعلم». (ن).

لا يحيط بعددهم إلا الله تعالى، ولا يقف على تفاصيل أحوالهم غيره.

الجن

ونؤمن بأن لله جنداً آخر من الجن، وهو عالم مغيب عنا كَالملائكة، وفيهم المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، وقد بعث النبي ﷺ لهم كما بعث للإنس:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾[1].

[رؤية الله في الآخرة]

ونؤمن بأن الله تعالى يُرَى في الآخرة كما يليق بجلاله[2].

---

(١) سورة الأحقاف: الآيات ٢٩ ـ ٣٢.

(٢) أنكر المعتزلة وأتباعهم وأشياعهم رؤية الله في الجنة والله =

. . . .

= يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ قال: «هل تُمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظَهراني جهنم، فأكون أول من يَجوزُ من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟» قالوا: نعم. قال: «فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم: فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة مَن أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يُخرجوا مَن كان يعبد الله، فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصبُّ عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حَميلِ السيل. ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة =

= والنار ـ وهو آخر أهل النار دُخولاً الجنة ـ مقبل بوجهه قِبلَ النار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها. فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك. فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها، سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا ربِّ قدمني عند باب الجنة. فيقول الله له: أليس قد أعطيت العُهودَ والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟ فيقول: يا رب، لا أكون أشقى خلقك. فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره، فيقول: لا، وعزتك لا أسأل غير ذلك. فيُعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها فرأىٰ زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا ربِّ أدخلني الجنة. فيقول الله: ويحك يا ابن آدم، ما أغدرك! أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك. فيضحك الله عز وجل منه، ثم يأذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنّ، فيتمنى. حتى إذا انقطع أمنيَّته قال الله عز وجل: من كذا وكذا ـ أقبل يذكِّره ربه ـ حتى إذا انتهتْ به الأمانيُّ قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه». قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ قال: قال الله: لك ذلك وعشرة أمثالِهِ» واللفظ للبخاري.

[الإرادة الكونية والإرادة الشرعية]

ونؤمن بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه تعالى لا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمرهم بالفحشاء، وأنه تعالى خالق كل شيء، وأن للعبد أفعالاً اختيارية عليها يعذب ويثاب، ولا يكلف الله تعالى أحداً إلا ما في وسعه، وأن النفس لا تموت حتى تستكمل أجلها.

وأن الله تعالى فضل الرسل على العالمين كما فضل بعضهم على بعض.

ونؤمن بأن الدعاء ينفع الداعي، ولا يغير شيئاً من علم الله تعالى، كما أن الضرب في الأرض لطلب الرزق ينفع صاحبه، ولا يغير شيئاً من سنن الله في الكون المبنية على ربط الأسباب بمسبباتها، والمقدّمات بنتائِجها، فالذي يدعو ليجاب، كَالذي يأكل ليشبع، ويشرب ليرتوي، ويزرع ليحصد، ويتعلم ليعلم.

فالدعاء سبب عادي شرعي لهُ أثره، وتعقبه نتيجته، ما دام قد استوفى ما شرط فيه. نسأل الله تعالى أن يجيب دعوتنا، ويتقبل عملنا.

خاتمة هذه الطبعة

[اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي ٱلَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَٱجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَٱجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1] ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

وكان الفراغ من جمع هذه الرسالة صبيحة يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤هـ، الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٥م.

محمد أحمد العدوي

---

(١) سورة النمل: الآية ١٩. (٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

المحتوى

(١) النجمة (*) تعني أن الكلام في الحواشي.

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة